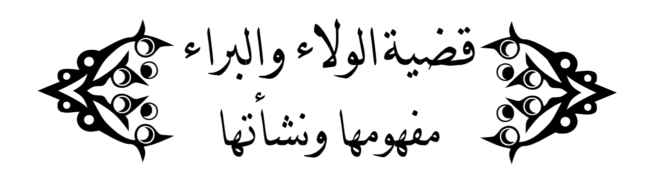

قضية الولاء والبراء
مفهومها ونشأتها



المنظمة العالمية لخريجي الأزهر

مركز تفنيد الفكر المتطرف

سلسلة: تفنيد الفكر المتطرف (٤)

كتاب: قضية الولاء والبراء مفهومها ونشأتها

المؤلف: أ. د. إبراهيم الهدهد

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٦٤١٧

الترقيم الدولي

978-977-85462-5-5



## تحذير



**المنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف**

**مركز تفنيد الفكر المتطرف**

**جامعة الأزهر - الحي السادس - مدينة نصر**

**هاتف:** ٢٣٨٦٨١١٤ ‎+٢٠٢ **بريد إلكتروني:** info@waag-azhar.org

**فاكس:** ٢٣٨٦٨١١٦ ‎+٢٠٢ **موقع إلكتروني:** www.waag-azhar.org

سلسلة

تفنيد الفكر المتطرف (٤)




# قضية الولاء والبراء

## مفهومها ونشأتها


**تأليف**

أ.د /إبراهيم صلاح الهدهد

**عضو مجمع البحوث الإسلامية**

**نائب رئيس جامعة الأزهر**

**إشراف وتقديم**

أ.د. محمد عبد الفضيل القوصي

**عضو هيئة كبار العلماء ـ نائب رئيس المنظمة**



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## تقديم

**بقلم أ. د. محمد عبد الفضيل القوصي**

**عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف**

في كتابه المُتْرَع بالثراء والرمزية (الفتوحات المكِّية) يقرر الشيخ الأكبر «محيي الدين بن عربي» أن الذات المسلمة الحقّة: لا يمكن أن تكون كذلك حين يتوقف نموها الوجداني الباطني عن الترقِّي والصعود والارتفاع، فلابد لها – في علاقتها بالكون وخالق الكون – من «معراج روحي» تَرْقى به من حالٍ وجدانية نازِلةَ: إلى حالٍ أخرى صاعدة هي أكثر رفعة وبهاءً، وإلا تصبح رهينةً للجمود والتحجُّر، وقرينةً للسُّبَات والمَوَات!!

بهذا «المعراج الرُّوحي» تتسع الآفاق اللامتناهية للذات البشرية، فتضحى الكائنات كلها- لدى تلك الذات – نابضةً

بإكسير الحياة، تَشْدُو لخالقها من غير لسان، وتَسجد من غير كيان، فترى الوجود بعين الجمال والحب، والرُّوح والسكينة، فتمتلك بذلك ناصية الكون بأسره، بأبعاده المنظورة وغير المنظورة.

لو أن هذه النظرة الشفيفة المُرْهفة قد امتزجت بصورة الإسلام في عصورنا الراهنة - تلك العصور التي اصطبغت بقيم المادة - من فوقها ومن أسفلَ منها- لَكَان لها فعل السِّحْر في حنايا النفوس الظامئة إلى الحق، والتوّاقة إلى الأمن والعدل، ولكانت بَلْسَمًا لِكَثيرٍ من أدواء العصر وشكاياته، ولَتلَمَّست طريقها إلى الأفئدة والعقول، تنير حُلكَة الظُّلمة وسوادها البهيم!!

لو أن هذه النظرة الشفيفة المُرْهفة قد امتزجت بصورة الإسلام في عصورنا هذه: لما وَجَدْتَ من المسلمين إلا قومًا تسكن المَرْحمة منهم حنايا الصدور، يَصفحون الصفح الجميل، ويألمون لأنَّات الثكالى، وآلام المستضعفين، ويرتفعون فوق سخائم الكراهية، وسواد الحقد والفظاظة، فلا يرون في بني الإنسان في كل مكان إلا قلوبًا تهفو إلى جمال الحق، وتستروح

بهاء العدل، وتتوق إلى القيم العليا، دون عنف مقيت، ولا سَوَاد كريه، ولا دِماء تُراق، أو أشلاء تتمزق، أو رؤوس تُقَطَّع!!

بيد أن هذه الرؤية الشفيفة المُرْهفة – التي تمتزج فيها الشاعرية بالحكمة – وياللأسف – قد انقلبت في عصرنا الراهن من الضد إلى الضد، بل من النقيض إلى النقيض.. فأين هِيَ من ذلك التصوّر البئيس الذي خُيِّل لأصحابه أن «الإسلام» بشموله وعظمته ورحمته قد انزوى في «شهوة الاستئثار بالسلطة»، وانحصر في «القفز» على أَزِمَّة الحكم، فأمسى «الإسلام» – لدى هؤلاء النفر – حبيس «لُعْبَة السياسة» حيث المناورات والألاعيب، وذهبت آفاقه العليا، ومراميه الرفيعة أدراج الرياح؟!.

أين تلك الرؤية الشفيفة المُرْهفة من أدبياتهم السوداء التي انشق العالم بمقتضاها انشقاقًا قاطعًا إلى فسطاطين: «فسطاط» الإيمان الذي لا يَلِجَهُ إلا أولئك النفر، و«فسطاط» الكفر الجاهلي الذي لا مناص من إزاحته والخلاص منه، ثم انطلق أصحابها – بمقتضى لُعْبَة السياسة– يعيثون في الوطن تخريبًا

ودماءً وأشلاءً، بعد أن ساقوا شباب الأمة الغَرير إلى أتون العداوة، وجحيم البغضاء، ثم تركوهم ينفثون حميم العنف وجحيم التدمير: رغبة في شهوة الحكم، ولهفة على كراسي السلطة، وتَلَمُّظًا إلى مقاعد السلطان، وكأنه لم يَتَبَقَّ من «الإسلام» كله – الرُّوح والقيم والمبادئ – سوى «سلطة» تُقْتَنَص، و«حكمٍ» يُعْتَلَى، و«سلطانٍ» تهون في سبيله الأرواح، وترخص الدماء!

أين تلك الرؤية الشفيفة المُرْهفة من أولئك الذين يتمسَّحون «بالسلفية» ويدَّعون وراثتها، ثم يتخذونها ستارًا زائفًا لما طُبِعُوا عليه من التحجِّر والغلظة وأحادية الرؤية، حتى استغرقوا اهتمام المسلمين في الأشكال المستوردة، والمظاهر الجافة، التي فَتَّحت بابًا –مُشْرَعًا– اتَّكَأَتَ عليه – فيما بعد – دَعَاوَى الإرهاب من كل حَدَب وصوب، وأعني به ما سُمِّي في أدبياتهم المتداولة «قتال الطائفة الممتنعة»، والتي تكاد تكون جذوة الشر المستطير الذي أصبح مرتكَزًا عَقَديًّا لكثير من جماعات العنف قديمًا وحديثًا.

أين تلك النظرة الشفيفة المُرْهفة من تلك المنظمات الإرهابية ذات الأسماء البغيضة التي انطلقت في زماننا هذا تهتف زورًا وبهتانًا باسم الإسلام وخلافة الإسلام، ثم يعيث دعاتها في الأرض تقتيلًا وتمثيلًا، وقطعًا للأعناق وبترًا للرقاب، أمام عين العالم وبصره، دون أن تطرف لهم عين، أو يخفق لهم قلب، بل دون أن يطرأ على ذواتهم المتحجرة مقدار الجُرم الذي جنوه في حق الإسلام حين تقترن صورته بصورة الدماء والأشلاء، والأعناق والرقاب، بل حين يتحول «الإسلام» بتأثير صنيعهم هذا – في نظر الكثير – إلى «وباء» يجتاح الكون بأسره؟ وماذا تكون «الصورة الذهنية» التي انطبعت في ذاكرة «أطفال العالم» عن «الإسلام» الذي يدّعون رفع رايته، وإعلاء كلمته؟

ثم ألا يلتفت هؤلاء وأولئك إلى أن ثمة «جهادًا روحيًا» إسلاميًا في اتجاه مختلف ينبغي أن تصعده البشرية إلى آفاق السمو العليا روحًا وعقلًا ووجدانًا، يَحْفِز الإنسانية إلى أن توفِّر لبنيها من الجائعين والعراة والمرضى: لقمة العيش

وجرعة الدواء، وما يقيم أَوَدَ الحياة ويدفع بها إلى الخلاص من الأنانية الفردية المقيتة التي أثمرتها الحضارة المادية النفعية؟

لعلنا نحاول في هذه السلسلة العلمية أن نعيد الحق إلى نصابه، فنفد ما ألصقه أولئك النفر بالإسلام من شبهات وأغاليط، لنبصر الشبيبة بحقيقة الإسلام، وما ينبغي أن يكونوا عليه في طريقهم إلى مرضات ربهم، واتباع نبيهم ﷺ.

والله نسأل التوفيق والقبول، وهو خير مسؤول وأعظم مأمول.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَة

إن خطاب الكراهية لايمكن أن يقيم مجتمعًا إنسانيًّا تسوده الرحمة والتراحم، ومن المستحيل أن يكون الرسول ﷺ الذي بعثه ربه رحمة للعالمين، داعيًا إلى الكره والبغض والعداوة.

وقد أعلن القرآن الكريم عن ذلك في ضوح وجلاء في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] لم يستثن أحدًا فهو رحمة للخلق أجمعين، من الإنس والجن والحيوان والطير وكل الخلق، لذا كانت رسالة الإسلام عالمية، وقد خاطبه ربنا قائلًا: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[الزخرف: ٨٨ - ٨٩]. فعلى الرغم من أنهم لا يؤمنون لكنه ﷺ أمر بالصفح عنهم، والقول الحسن.

ونحن في هذا الكتاب سنمضي على طريقة أهل العلم بعرض رأي المخالف وأدلته أولًا، ثم نتولاها بالرد بمشيئة الله تعالى، وهي طريقة المصطفى ﷺ في تصحيح المفاهيم، فقد كان يسأل الصحابة رضوان الله عليهم أولًا لاستكشاف مفهوم المصطلح، ثم يقوم بتصحيحه.

من أمثلة ذلك قوله للصحابة: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس من لا درهم له ولا دينار ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[1].

❁❁❁

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم.

# مفهوم الولاء والبراء

# عند القائلين به[١]

**الولاء**: هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم.

**البراء**: هو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق .

## منزلة الولاء والبراء عندهم:

منزلة عقيدة الولاء والبراء من الشرع عظيمة وهي ركن

(١) هذه آراء الخوارج قديماً، وتابعهم عليها ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن باز، وصالح العثيمن وسالم القحطاني، ويراجع ذلك في مجموع فتاوى ابن تيمية ومجموع فتاوى ابن العثيمين، وفتاوى ابن باز

من أركان الإيمان، ومن عظمة هذه المنزلة:

**أولاً**: أنها جزء من معنى الشهادة، وهي قول: ( لا إله ) من ( لا إله إلا الله ) فإن معناها البراء من كل ما يُعبد من دون الله.

**ثانيًا**: أنها شرط في الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[المائدة: ٨٠ – ٨١].

**ثالثًا**: أن هذه العقيدة أوثق عُرَى الإيمان، لما روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**». في الحديث الصحيح: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**» [ أخرجه أبو داود].

**رابعًا**: أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان ولذة اليقين، لما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان:**

**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»** [متفق عليه].

**خامسًا:** أنها الصلة التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠].

**سادسًا:** أنه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولاية الله، لما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك**».

**سابعًا:** أن عدم تحقيق هذه العقيدة قد يدخل في الكفر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[المائدة: ٥١].

**ثامنًا:** أن كثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها.

### من أقوال شيوخهم:

يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: «فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد

إيجابه، وحرم موالاتهم وشدَّدَ فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يواد إلا لله، ولا يُعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله» وقال أيضًا : «من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبَد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة له ولرسوله، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه أو أعانهم على فتحها، وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة فهو كافر». وقال أيضًا في موضع آخر: «مَن اعتقد أن زيارة أهل الذمة في كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد».

## من صور موالاة الكفار عندهم:

١- التشبه بهم في اللباس والكلام.

٢- الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلا بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.

٤- اتخاذهم بطانة ومستشارين.

٥- التأريخ بتاريخهم خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي.

٦- التسمي بأسمائهم.

٧- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها.

٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد .

٩- الاستغفار لهم والترحم عليهم .

## أدلتهم من القرآن الكريم:

قال تعالى:

١- ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾[الممتحنة: ٤].

٢- ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾[التوبة: ٣].

٣- ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾[المائدة: ٥١ - ٥٢].

٤- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١].

٥- ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[آل عمران: ٢٨].

٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى

صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[آل عمران: ١١٨].

٧- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[التوبة: ٢٣] وواضح جلي أن النهي مقيد لا مطلق.

٨- ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] والواضح الجلي لذي عينين أن النهي مقيد بمحادة الله ورسوله ومعاداتهم، وليس على إطلاقه.

## رأي عجيب:

فرّق هؤلاء بين الولاء والبراء وبين المواطنة فالمواطنة نوع من التعامل الدنيوي، وأما الولاء والبراء فالمراد بهما المحبة

لأولياء الله والبغض والكراهة لأعداء الله، فأنت تواطنهم مواطنة دنيوية، لكن لا تحبهم في قلبك، بل تبغضهم، ولا يمنع هذا أن تعاملهم بالإحسان كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[المائدة: ٨].

**التعليق**: واضح جلي من عرض ماسبق أنهم يستشهدون بنصوص دون نظر إلى أمثالها من القرآن الكريم وكذلك من السنة المطهرة، وهذا من إساءة الفهم للنص الشريف، كما يتضح أنهم يبتدعون في الدين بدعًا لم يقل بها السلف، مما جعلهم يسارعون إلى تكفير من لايؤمن باعتقادهم الفاسد، وهو ما يشكل خطورة بالغة على المسلمين أنفسهم وعلى بني الإنسان.

## الفهم الصحيح للقضية:

**أولًا**: لم يعد أحد من السلف الصالح ولا من الأئمة الأربعة الولاء والبراء من أركان الإيمان، ولامن أركان الإسلام، وأجمع جماهير علماء الأمة على أن أركان الإيمان والإسلام ما جاء في الحديث الصحيح: عَنْ عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ:

بينما نحن عند رَسُول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إِلَى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إِلَى ركبتيه ووضع كفيه عَلَى فخذيه وقَالَ: يا محمد أخبرني عَن الإسلام؟ فقَالَ رَسُول اللهِّ ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رَسُول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**» قَالَ صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! قَالَ: فأخبرني عَن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت، قَالَ: فأخبرني عَن الإحسان؟ قَالَ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قَالَ: فأخبرني عَن الساعة؟ قَالَ: «**ما المسئول عَنْها بأعلم مِن السائل**» قَالَ: فأخبرني عَنْ أماراتها؟ قَالَ: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان!**» ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قَالَ: «**يا عمر أتدري مَن السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم.

قَالَ: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[١]، والحديث واضح صريح في تحديد أركان الإسلام والإيمان.

قال أبو الحسن الأشعري: «الإيمان هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان، والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب، أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقًا لهم فيما جاءوا به من عند الله صح إيمانه، حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنًا ناجيًا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك»[٢]. وقال الباقلاني: «وأن يعلم أن الإيمان بالله عز وجل هو: التصديق بالقلب»[٣] فلا يوجد في علم التوحيد ما يسمى بعقيدة الولاء والبراء، فهو من الأعمال القلبية التي تكون من آثار عقيدة الإيمان، والمظهر السلوكي للولاء هو النصرة والتأييد، والمظهر السلوكي للبراء هو المعاداة وعدم التأييد، وتتجلى مظاهر الولاء والبراء من الأعمال القلبية

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص١٠١..

(٣) الإنصاف للباقلاني ٣٣.

في الأساس، التي تكون من آثار عقيدة الإيمان، فإن المؤمن الذي آمن بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره، يثمر ذلك الإيمانُ في قلبه حُبًّا وموالاةً وميلًا ونصرةً لكافة المؤمنين بالحق، كما يثمر في قلبه براءة من العقائد والأفكار التي تناقض ما يؤمن به.

والمظهر السلوكي للولاء هو النصرة والتأييد، والمظهر السلوكي للبراء هو المعاداة وعدم التأييد، وتتجلى مظاهر الولاء والبراء عندما يقرر من يكفر بعقيدتك وإيمانك وهويتك أن يظلمك ويحارب وطنك، فإن الولاء يقتضي الوقوف بجوار وطنك وقومك وهويتك، والبراءة من العدو الذي يريد هدم هويتك وأمنك ووطنك.

لذا، فإن الولاء والبراء لابد أن يُستحضر دائمًا في منظومة تعايش المسلم مع غيره، فعلى المسلم أن ينتمي للإسلام ويحافظ على هويته الإسلامية من غير الإخلال بمبدأ التعايش السلمي بين الناس وهذا هو الولاء، والبراء وهو أن يحافظ المسلم على عدم التباس عقيدته بما قد يشوبها من الشبهات ونحوها دون

الدخول في التكفير أو الاعتداء على نفس معصومة. إن عدم موالاة غير المسلمين من المواطنين وغيرهم ممن لا يكونون في حالة حرب مع المسلمين بمعنى معاداة أشخاصهم وإيذائهم مخالفٌ لصريح نصوص القرآن والسنة؛ فالمسلم مأمور بقول الحسنى لكل الناس دون تفريق؛ قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[النحل: ٩٠]، كما أن الله لم ينهَنا عن برِّ غير المسلمين ووصلهم وإهدائهم وقبول الهدية منهم وما إلى ذلك من أشكال البر بهم؛ قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: ٨] والإشكال بسبب تعريف الإيمان عند من سموا أنفسهم السلفية، هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[المدثر: ٣١] ومن هنا كَفَّروا كل مرتكب لمعصية، وأصلهم الخوارج.

**ثانيًا: الفهم الصحيح للآيتين المحوريتين في هذه العقيدة، وغيرهما:**

**الآية الأولى:** قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾[الممتحنة: ١].

لابد من الاسترشاد بسبب النزول في فهم الآية، فهذه الآية نزلت في الصحابي حاطب بن أبي بلتعة، كتب سرًّا إلى الأعداء في مكة يخبرهم بأن الرسول ﷺ، يتجهز لحربهم، وكشف المولى تعالى أمره للرسول ﷺ فقبضوا على المرأة التي تحمل الرسالة إلى أهل مكة أعداء الرسول ﷺ وأعداء الدولة، فنزلت الآية تحرم اتخاذ الأعداء أولياء، وهذا أمر طبيعي لا يمكن لأحد أن يعترض عليه؛ لأنه متفق مع الطبيعة البشرية، وعلاقة الناس الطبيعية بعضهم ببعض، وعند جميع الشعوب، وحتى في زماننا، فإن من يوالي العدو أثناء الحرب وينقل الأسرار الحربية، يرتكب جريمة عظمى، ومن أجل الفهم الصحيح الذي لايهدر سبب النزول ولا السنة ولا

النصوص الأخرى في التنزيل جاء سبب النزول الذي لخصناه في كل كتب أئمة التفسير وكتب الصحاح والسنن(١).

**الآية الثانية:** ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[المائدة: ٥١ - ٥٢] هذه الآية في أبي لبابة وقال السُّدِّي: نزلت في يوم أحد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم أن يوالوا اليهود والنصارى، وقيل: نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول فتبرأ عبادة من موالاة اليهود وتمسك بها ابن أبي وقال: إني أخاف أن تدور الدوائر(٢).

---

(١) ينظر: في سبب النزول البخاري ٣٠٠٧، ومسلم= =٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥٠ والترمذي ٣٣٠٥ والنسائي ١١٥٢١ وأحمد في مسنده ٦٠٠ وأسباب النزول للواحدي ٤٤٨-٤٤٩. وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٩٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٤٥ .

ويتضح من ذلك أن الآية تنزلت في الحرب، وأمر بدهي أنه لا يجوز الاستعانة بالأعداء وموالاتهم في الحروب، ولا يحتج علينا في ذلك بالقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لأننا نقول بمعنى الآية في عدم جواز الموالاة في أثناء الحروب، لما سيأتي من بعد ذلك من الآيات التي تدعو إلى البر بهم والإقساط إليهم مالم تكن حرب بيننا وبينهم.

**آية ثالثة:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[آل عمران: ١١٨] الآية نفسها فيها الرد الكافي فقد تضمنت علة النهي عن موالاة من يضمر العداوة، ويتعمد إصابة المؤمنين بالإفساد، ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ أي: لا يدخرون جهدا في إصابتكم بالفساد ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ ﴾ أي: يتمنون إعناتكم وإدخال المشقة عليكم، وقد أعلنوا عن ذلك، وإعلانهم أقل مما تكنه صدورهم بكثير، فالنهي مقيد لا مطلق، والقاعدة يبقى المقيد على قيده والمطلق على إطلاقه.

**آية رابعة:** ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ ﴾[آل عمران: ٢٨] النهي هنا أيضًا نهي مقيد ﴿ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ ﴾ أي: لا يجوز اتخاذ ولي غير مسلم مع وجود الكفء المسلم.

**ثالثًا:** لا يجوز فهم هذه الآيات بعيدا عن الآيات الأخرى، وإلا يكون القرآن متناقضًا فقد دعانا في كثير من الآيات إلى البر بالمخالف، وحسن معاملته من ذلك، ولذلك ارتكزت دعوة الإسلام على التسامح، والرحمة وإليكم بيان ذلك:

إن الإسلام دعا إلى البر ببني البشر إلا من ظاهرنا بالعداوة قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد بين القرآن أن رسول الله ﷺ جاء بالسلم لا بالحرب، وأن عمود رسالة الإسلام الرحمة للإنسانية كلها، وهو واضح جلي في قوله تعالى واصفا رسوله محددا الغرض من رسالته

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

إن الإسلام قادر على مواجهة العنف والتطرف فهو يهتم بالسلم العام، ويدعو إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، قال تعالى ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[العنكبوت: ٤٦] كما أنه يدعو إلى عدم إثارة الحقد والكراهية قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾[الأنعام: ١٠٨] كما يدعو إلى حسن الجوار، وترك المبادرة بالشر، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾[المائدة: ٨].

إن قيم الإسلام تؤمن بتعدد الحضارات، وتقرها، وترسخ الإيمان بذلك في قلوب المسلمين، والسيرة العطرة لرسول الله وصحبه الكرام، جسدت الإيمان بتعدد الحضارات وتنوع الثقافات، وتعاطت معها، واقعا عمليًا و«التقاء الحضارات معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وهو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه، وقد تم دائما وأبدًا وفق هذا القانون الحاكم التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام وبين ماهو خصوصية

حضارية» والخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية بما يعود على الإنسان والبشرية بالخير والفائدة، والاتجاه نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الراهن، عكس نظرية (صدام الحضارات) التي تدفع الطرف المتسلح بـإمكاناته العملية والمادية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى أن نزاعات العالم القادمة سيتحكم فيها العامل الحضاري.إن قيم الإسلام ترسخ في قلوب المسلمين» أن الانعزال والتقوقع والانغلاق على الذات في عالم اليوم الذي تحول إلى قرية صغيرة بحكم التطور التقني الهائل في تكنولوجيا الاتصال أمر مستحيل، كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة هو بحد ذاته عملية تكريس لهيمنة الحضارة الكاسحة وهو طريق التبعية الحضارية الذي يفقد كل أمة خصوصيتها الحضارية ويحولها إلى مجرد هامش للحضارة الكاسحة».

وقد أكد الإسلام لأتباعه أن التعدد والتنوع من سنن الله في كونه، وأن جوهر رسالته عدم إكراه الناس على دين

واحد فالتعدد سنة من سنن الله تعالى: في الكون، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ ﴾[المائدة: ٤٨]. وقال أيضًا: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[هود: ١١٨ - ١١٩]، وقال أيضًا: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾[البقرة: ٢٥٦]، وقال أيضًا: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[الغاشية: ٢١ - ٢٢].

إن قيم الإسلام لاتعادي الأديان السماوية وقد نص القرآن الكريم على أن الإيمان بالرسل والكتب السماوية شرط كمال إيمان المسلم، في قوله ـ تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ ﴾[البقرة: ٢٨٥] «بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساسا راسخا لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر

هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس،فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها».

إن دعوة الإسلام مرتكزة على تنوع الشعوب والتعدد المجتمعي، ولا سبيل إلى الالتقاء إلا بالتعارف والتعاون وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[الحجرات: ١٣].

إن دعوة الإسلام وقيمه ترتكز على التسامح، والحوار لا الصدام، والتعايش لا التناحر،وقد جاءت نصوص القرآن والسنة المطهرة معلنة عن ذلك بكل وضوح من ذلك، فقد أمر الله نبيه بالعفو والصفح عن غير المؤمنين به قال الله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الزخرف: ٨٨ – ٨٩] كما أمره بالصفح الجميل

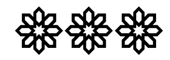
﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[الحجر: ٨٥] ويقول: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩] وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[الجاثية: ١٤].

وليس من هدف الإسلام ولا من رسالته تحويل غير المسلمين للإسلام، وإنما هدفه شرح حقيقة الإسلام، وإن دوره هو الحفاظ على نقاء شريعة الإسلام والدفاع عنها.

إن الإسلام لايحمل عداء للعقائد الأخرى، إنه يدين العنف والإرهاب، إن الناس جميعًا قد أوجدهم الله من نفس واحدة، والاختلاف في العقائد من طبيعة البشر، والعقائد لاتباع ولاتشترى،ولا إكراه على العقائد، وإن الاختلاف لايمنع التعاون ولا التعارف.

إن قيم الإسلام تدعونا جميعًا إلى بناء السلام بين بني البشر جميعًا إن المشتركات بين بني الإنسان كبيرة فلنستثمرها في وقف شلالات الدماء، فلنتعاون جميعًا على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد التي كلفت البشرية ثمنًا

باهظا ومرهقا، فلنتكاتف جميعًا أيها السادة لمواجهة العنف، والجوع، والفقر،ولنتعاون معًا لإسعاد البشرية، شكرًا لكم جميعًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



# الفهرس